سورة الصَّفّ

مَدَنِيَّةٌ في قول الجميع، فيما ذكر الماورديُّ[1]. وقيل: إنَّها مكِّيَّة، ، ذكره النحَّاس[2] عن ابن عباس. وهي أربع عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ تقدَّم[3].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ روى الدَّارِمِيُّ أبو محمد في «مسنده»: أخبرنا محمد بنُ كثير، عن الأوزاعيِّ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سَلاَم قال: قَعَدنَا نَفَرٌ من أصحابِ رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله تعالى لعملناه، فأنزل الله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ حتى ختمها.

قال عبد الله: فقرأها علينا رسولُ الله ﷺ حتى ختمها. قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سَلاَم. قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة، وقرأها علينا يحيى، وقرأها علينا

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٥٢٧ .

(٢) في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٢٢ .

(٣) ص٢٣٥ من هذا الجزء.

الأوزاعيُّ، وقرأها علينا محمد[١]. وقال ابن عباس: قال عبد الله بن رَوَاحة: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملناه، فلما نزل الجهاد كرهوه[٢].

وقال الكلبيُّ: قال المؤمنون: يا رسولَ الله، لو نعلم أحبَّ الأعمال إلى الله، لسارعنا إليها، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ فمكثوا زماناً يقولون: لو نعلم ما هي لاشتريناها بالأموال والأنفس والأهلين، فدلَّهم الله تعالى عليها بقوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ الآية. فابْتُلُوا يوم أُحُد، ففرُّوا، فنزلت تعيِّرهم بترك الوفاء[٣].

وقال محمد بن كعب: لما أخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ بثواب شهداء بدر، قالت الصحابة: اللَّهمَّ اشهد! لئن لقِينا قتالاً لَنُفْرِغَنَّ فيه وُسْعَنا، ، ففرُّوا يوم أُحُد فعيَّرهم الله بذلك. وقال قتادة والضحَّاك: نزلت في قوم كانوا يقولون: نحن جاهدنا وأَبْلَيْنَا، ولم يفعلوا[٤].

وقال صُهيب: كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر وأَنكاهم، فَقَتَلْتُه. فقال رجل:

---

(١) سنن الدارمي (٢٣٩٠)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٣٠٩)، والواحدي في أسباب النزول ص٤٥٣ من طريقين، عن محمد بن كثير، به. إلا أنه ورد في أسباب النزول مختصراً. قال الترمذي: وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي. وروى ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن سلام، أو عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام. اهـ. قلنا: هو عند أحمد (٢٣٧٨٩) من طريق يعمر، عن ابن المبارك، به.

وأخرجه ايضاً الحاكم ٢/٤٨٦-٤٨٧ من طريق الوليد بن مزيد وأبي إسحاق الفزاري، كلاهما عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سلام، بنحوه. وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر في فتح الباري ٨/٤١٩ : وقد وقع لنا سماع هذه السورة [يعني الصف] مسلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها، وإسناده صحيح قلَّ أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٤٥٤ دون عزوٍ، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٣٥٤ (١٨٨٨٥) عن مقاتل.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧ ، وقول قتادة والضحاك أخرجه عنهما الطبري ٢٢/٦٠٨-٦٠٩ .

يا نبيَّ الله، إنِّي قتلت فلاناً، ففرح النبيُّ ﷺ بذلك. فقال عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن عَوْف: يا صُهيب، أما أخبرتَ رسولَ الله ﷺ أنَّك قتلتَ فلاناً! فإنَّ فلاناً انْتَحَل قَتْلَه، فأخبره فقال: «أكذلك يا أبا يحيى»؟ قال: نعم، واللهِ يارسول الله، فنزلت الآية في المنتحِل[١]. وقال ابن زيد: نزلت في المنافقين، كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ وأصحابه: إن خرجتم وقاتلتم، خرجنا معكم وقاتلنا، فلما خرجوا، نكصوا عنهم وتخلفوا[٢].

الثانية: هذه الآية توجب على كلِّ من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة، أن يفيَ بها[٣]. وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسى[٤] أنَّه بعث إلى قرَّاء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثُ مئةِ رجلٍ قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيارُ أهل البصرة وقرَّاؤهم، فاتْلُوه ولا يَطُولَنَّ عليكم الأَمَدُ فتَقْسُوَ قلوبكم، كما قستْ قلوب من كان قَبلكم. وإنَّا كُنَّا نقرأ سورةً، كنَّا نُشبِّهها في الطُّول والشِّدَّة بـ «براءة» فأُنْسيتها، غيرَ أنِّي قد حفِظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يَملأُ جوفَ ابنِ آدم إلا التراب. وكنا نقرأ سورة كنَّا نشبهها بإحدى المسبِّحات فأُنسيتها، غير أنِّي حفظتُ منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ فَتُكْتَب شهادةً في أعناقكم فتُسألون عنها يوم القيامة. قال ابن العربيِّ[٥]: وهذا كلُّه ثابت في الدِّين. أما قوله تعالى:

---

(١) الكشاف ٤/ ٩٦ ، وأورده أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٥٠ بنحوه، وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص١٦٩ للثعلبي، ومعنى قوله: وأنكاهم. أي: أصاب منهم. اللسان(نكي).

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٦٠٩ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٤٢ .

(٤) برقم (١٠٥٠)، إلا أنه لم يرد فيه: عن أبي موسى، بل ورد فيه: عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه [وهو: ظالم بن عمرو الدِّيلي]، قال: بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، ...الخبر.

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٧٨٧ ، وما بين حاصرتين منه، والكلام الآتي كلُّه منه إلى قوله: والصحيح عندي أن الوفاء به على كل حال إلا لعذر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فثابت في الدِّين لفظاً ومعنًى في هذه السورة.

وأما قوله: «شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» فمعنًى ثابتٌ في الدِّين؛ فإنَّ من التزم شيئاً، لزمه شرعاً. والملتَزَم على قسمين: أحدهما: النذر، وهو على قسمين، نذر تقرُّبٍ مبتدأ كقوله: للهِ عليَّ صلاة وصوم وصدقة، ونحوه من القُرَب. فهذا يلزم الوفاء به إجماعاً.

ونذرُ مباحٍ: وهو ما علِّق بشرطٍ رغبةً، كقوله: إن قَدِمَ غائبي، فعليَّ صدقة، أو عُلِّق بشرط رهبةً، كقوله: إن كفاني الله شرَّ كذا، فعليَّ صدقة.

فاختلف العلماء فيه، فقال مالك وأبو حنيفة: يلزمه الوفاء به[١]. وقال الشافعيُّ في أحد أقواله: إنَّهُ لا يلزمه الوفاء به[٢]. وعموم الآية حجَّة لنا؛ لأنَّها بمطلقها تتناول ذمَّ من قال مالا يفعله على أيِّ وجه كان من مطلق أو مقيَّد بشرط. وقد قال أصحابه: إنَّ النذر إنَّما يكون بما القصد منه القُرْبة مما هو من جنس القربة. وهذا وإن كان من جنس القربة، لكنه لم يُقصَد به القربة، وإنَّما قصد مَنْع نفسه عن فعل، أو الإقدام على فعل. قلنا: القُرب الشرعية مَشَقَّات[٣] وكُلَف، وإن كانت قربات. وهذا تكلُّف [في] التزام هذه القربة بمشقَّة، لجَلبْ نفع أو دفع ضرٍّ، فلم يخرج عن سنن التكليف، ولازال عن قصد التقرُّب. قال ابن العربيِّ: فإن كان المقول منه وعداً، فلا يخلو أن يكون منوطاً بسببٍ، كقوله: إن تزوَّجتَ، أعنتُك بدينار، أو ابتعتَ حاجةَ كذا، أعطيتك [كذا]. فهذا لازم إجماعاً من الفقهاء. وإن كان وعداً مجرَّداً، فقيل: يلزم بتعلُّقه[٤]. وتعلَّقوا بسبب الآية، فإنَّه روي أنَّهم كانوا يقولون: لو نعلم أيَّ الأعمال أفضل أو أحبّ إلى الله، لعملناه، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وهو حديث لا بأس به.

---

(١) النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني ٤/ ١٨، وبدائع الصنائع ٦/ ٣٥٥.

(٢) الأم ٧/ ٦١.

(٣) في أحكام القرآن لابن العربي: مقتضيات.

(٤) في أحكام القرآن لابن العربي: بمطلقه.

وقد روي عن مجاهد أنَّ عبد الله بن رَوَاحة لما سمعها قال: لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أُقتل[١]. والصحيح عندي: أنَّ الوعد يجب الوفاء به على كلِّ حال إلا لعذر.

قلت: قال مالك: فأما العِدَة مثل أن يسأل الرجلُ الرجلَ أن يَهَب له الهبة، فيقولَ له: نعم. ثم يبدو له ألَّا يفعل، فما أرى ذلك يلزمه. وقال ابن القاسم: إذا وعَد الغرماءَ فقال: أُشهدكم أنِّي قد وهبت له من أين يؤدِّي إليكم[٢]، فإنَّ هذا يلزمه. وأما أن يقول: نعم أنا أفعل. ثم يبدو له، فلا أرى عليه ذلك.

قلت: أي: لا يقضى عليه بذلك، فأمَّا في مكارم الأخلاق وحسن المروءة، فنَعَم. وقد أثنى الله تعالى على من صَدقَ وعده ووَفَى بنذره فقال: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] وقد تقدَّم بيانه.

الثالثة: قال النَّخَعِيُّ: ثلاث آيات منعتني أن أقصَّ على الناس: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

وخرَّج أبو نُعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار، عن ثُمَامة، أنَّ أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيتُ ليلة أُسْرِيَ بي على قوم تُقرَض شفاههم بمقاريضَ من نار، كلَّما قُرضت، وَفَت. قلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمَّتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتابَ الله ولا يَعملون»[٣]. وعن بعض السلف أنَّه قيل له: حدِّثْنَا. فسكت. ثم قيل له: حدِّثْنَا. فقال: أتأمرونني أن أقول ما لا أفعل،

---

(١) تفسير مجاهد ٢/ ٦٧١، وأخرجه عنه عبد الله بن المبارك في الجهاد (٣)، والطبري ٢٢/ ٦٠٧-٦٠٨.

(٢) في (خ)و(د) و(م): من أن يؤدي إليكم. والمثبت من (ف) و(ز) والتمهيد ٣/ ٢٠٨ والكلام منه.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٣٨٦-٣٨٧، وأخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان(١٧٧٣) من طريق صدقة بن موسى والحسن بن جعفر، عن مالك بن دينار، به. وصدقة بن موسى ضعيف. ومعنى: وفت، أي: تمَّت وطالت. النهاية(وفا).

وأخرجه أيضاً أبو يعلى (٤٠٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٦٥)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٧٢ من طريقين، عن سليمان التيمي، عن أنس بنحوه والإسنادان صحيحان.

فأستَعْجِلَ مَقْتَ الله[١]!.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير مالا يفعله؛ أما في الماضي فيكون كذباً، وأما في المستقبل فيكون خُلْفاً، وكلاهما مذموم. وتأوَّل سفيان بن عُيَينة قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: لِمَ تقولون ما ليس الأمر فيه إليكم، فلا تدرونَ هل تفعلون أو لا تفعلون. فعلى هذا يكون الكلام محمولاً على ظاهره في إنكار القول.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قد يحتجُّ به في وجوب الوفاء في اللجاج والغضب على أحد قولي الشافعي[٢].

و«أَنْ» رفع بالابتداء، وما قبلها الخبر، وكأنَّه قال: قولكم ما لا تفعلون مذمومٌ، ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف[٣]. الكسائي: «أن» في موضع رفع؛ لأنَّ «كَبُرَ» فعلٌ بمنزلة: بئسَ رجلاً أخوكَ[٤]. و«مَقْتاً» نصب بالتمييز، المعنى: كبر قولهم مالا يفعلونَ مقتاً[٥]. وقيل: هو حال. والمقت والمَقَاتة مصدران، يقال: رجل مقيت وممقوت: إذا لم يحبّه الناس[٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

---

(١) الكشاف ٤/ ٩٧.

(٢) أحكام القرآن للهراسي ٤/ ٤١٣، ونذر اللجاج والغضب: هو أن يمنع نفسه من فعل، أو يحثها عليه بتعليق التزام قربة بالفعل أو بالترك. ويقال فيه: يمين اللجاج والغضب، ويقال له أيضاً: يمين الغَلَق، ونذر الغَلَق. المجموع ٨/ ٣٧٦.

(٣) المشكل لمكي ٢/ ٧٣٠.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٣.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٦٣.

(٦) الصحاح (مقت).

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ أي: يصفُّون صفًّا[١]: والمفعول مضمر، أي: يصفُّون أنفسهم صفًّا. ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ قال الفرَّاء[٢]: مرصوص بالرَّصاص. وقال المبرِّد: هو من رصصت البناء إذا لا أَمْتَ بينه وقاربتَ حتى يصيرَ كقطعة واحدة[٣]. وقيل: هو من الرصيص، وهو انضمام الأسنان بعضها إلى بعض.

والتراصُّ: التلاصق. ومنه: وتراصُّوا في الصف[٤]. ومعنى الآية: يحبُّ مَن يثبت في الجهاد في سبيل الله، ويلزم مكانه كثبوت البناء[٥]. وقال سعيد بن جبير: هذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوِّهم.

الثانية: وقد استدلَّ بعض أهل التأويل بهذا على أنَّ قتال الراجل أفضل من قتال الفارس؛ لأنَّ الفرسان لا يصطفُّون على هذه الصفة[٦]. المهدَوِيُّ: وذلك غير مستقيم؛ لما جاء في فضل الفارس فِي الأجر والغنيمة. ولا يخرج الفرسان من معنى الآية؛ لأنَّ معناه الثبات.

الثالثة: لا يجوز الخروج عن الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان، أو فِي رسالة يرسلها الإمام، أو في منفعة تظهر في المقام، كفرصة تنتهز، و لا خلاف فيها[٧]. وفي الخروج عن الصفِّ للمبارزة، خلاف على قولين: أحدهما: أنَّه لا بأسَ بذلك، إرهاباً للعدوِّ، وطلباً للشهادة، وتحريضاً على القتال. وقال أصحابنا: لا يبرز أحد طالباً لذلك؛ لأنَّ فيه رياءً وخروجاً إلى ما نهى الله عنه من لقاء العدوِّ. وإنما تكون

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧.

(٢) في معاني القرآن له ٣/ ١٥٣.

(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٣١٢ ولم يعزه.

(٤) لسان العرب (رصص) بنحوه.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٦٤.

(٦) الكشاف ٤/ ٩٧، وذكره الطبري في التفسير ٢٢/ ٦١١ بنحوه.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٨٩، وما بعده منه أيضاً.

المبارزة إذا طلبها الكافر، كما كانت في حروب النبيِّ ﷺ يوم بَدْر، وفي غَزْوة خَيْبر، وعليه دَرَج السلف. وقد مضى القول مستوفى في هذا في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1] [الآية: ١٩٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ لما ذكر أمر الجهاد بيَّن أنَّ موسى وعيسى أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله، وحلَّ العقاب بمن خالفهما، أي: واذكر لقومك يا محمد هذه القصَّة[2].

قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ وذلك حين رَمَوْه بالأُدْرَة، حسب ما تقدَّم في آخر سورة«الأحزاب»[3]. ومن الأذى ما ذكر في قصَّة قارون: أنَّه دسَّ إلى امرأة تَدَّعي على موسى الفجور[4]. ومن الأذى قولهم: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[5] [الأعراف: ١٣٨]. وقولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾[6] [المائدة: ٢٤]. وقولهم: إنَّك قتلتَ هارونَ. وقد تقدَّم هذا[7].

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ والرسول يُحترم ويعظَّم[8]. ودخلت «قد» على «تعلمون» للتأكيد؛ كأنَّه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهةَ لكم فيه.

---

(١) ٣/ ٢٦٠.

(٢) زاد المسير ٨/ ٢٥٣.

(٣) عند الآية (٦٩).

(٤) عرائس المجالس ص٢١٨.

(٥) سلفت ٩/ ٣١٧.

(٦) سلفت ٧/ ٣٩٩.

(٧) ٩/ ٣٤٨.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ أي: مالوُا عن الحقِّ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: أمالها عن الهُدَى[١].

وقيل: «فَلَمَّا زَاغُوا» عن الطاعة «أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ» عن الهداية[٢].

وقيل: «فَلَمَّا زَاغُوا» عن الإيمان«أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ» عن الثواب. وقيل: أي: لما تركوا ما أمِرُوا به من احترام الرسول عليه الصلاة والسلام وطاعة الربِّ، خَلَقَ اللهُ الضلالةَ في قلوبهم؛ عقوبةً لهم على فعلهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: واذكر لهم هذه القصَّة أيضاً. وقال: «يَابني إسرائيل» ولم يقل: «ياقوم» كما قال موسى؛ لأنَّه لا نسبَ له فيهم، فيكونون قومه.

﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾أي: بالإنجيل.﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لأنَّ في التوراة صفتي، وأنِّي لم آتكم بشيء يُخالِفُ التوراة، فتنفروا عني.﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ﴾ مصدِّقاً.

«وَمُبَشِّراً» نصب على الحال[٣]، والعامل فيها معنى الإرسال. و«إليكم» صلة الرسول.

﴿يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: «مِنْ بَعْدِيَ» بفتح الياء[٤]. وهي قراءة السُّلَمِيِّ وزرٍّ بن حُبيش وأبي بكر، عن عاصم. واختاره أبو حاتم؛

---

(١) زاد المسير ٨/ ٢٥٣ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٥٢٨ ، وما بعده منه أيضاً.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٠ .

(٤) السبعة ص٦٣٥ ، والنشر ٢/ ٣٨٧ .

لأنَّه اسم، مثل الكاف من بعدك، والتاء من قمت. الباقون: بالإسكان. وقرئ: «من بعدي اسمه أحمد» بحذف الياء من اللفظ[١].

و«أحمد» اسم نبيِّنا ﷺ. وهو اسم عَلَمٍ منقول من صفة، لا من فعل، فتلك الصفة «أفعل» التي يراد بها التفضيل. فمعنى «أحمد» أي: أَحْمَدُ الحامدين لربِّه. والأنبياء صلوات الله عليهم كلُّهم حامدونَ الله، ونبيُّنا أحمدُ أكثرُهم حمداً.

وأمَّا محمد فمنقول من صفة أيضاً، وهي في معنى: محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار. فالمحمَّد هو الذي حُمِد مرَّةً بعد مرَّةٍ. كما أنَّ المُكَرَّم من الكرم مرَّة بعد مرَّة. وكذلك الممدَّح ونحو ذلك. فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سمَّاه قبل أن يُسَمِّيَ به نفسَه. فهذا عَلَمٌ من أعلام نبوَّته، إذ كان اسمه صادقاً عليه، فهو محمود في الدنيا، لما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة. وهو محمود في الآخرة، بالشفاعة. فقد تكرَّر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ.

ثم إنَّه لم يكن مُحَمَّداً حتى كان أحمدَ، حَمِد ربَّه فَنبَّأه وشرَّفه، فلذلك تقدَّم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد، فذكره عيسى عليه السلام فقال: «اسْمُهُ أَحمَدُ». وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربُّه: تلك أمَّة أحمد، فقال: اللَّهُمَّ اجعلني من أمَّة أحمد. فبأحمد ذَكره قبل أن يذكره بمحمَّد؛ لأنَّ حَمْدَه لرَبِّه كان قبل حَمْدِ الناس له. فلما وُجد وبُعث، كان محمداً بالفعل. وكذلك في الشفاعة يحمد ربَّه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربِّه، ثم يشفع فيحمد على شفاعته[٢].

وروي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اسمي في التوراة: أحيد؛ لأنِّي أحيد أمَّتي عن النار، واسمي في الزبور: الماحي؛ محا الله بي عَبَدة الأوثان، واسمي في الإنجيل:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢١ ونسبها إلى ابن محيصن وحمزة والكسائي.

(٢) من قوله: وأحمد، اسم نبينا ﷺ، إلى هنا من التعريف والإعلام ص١٦٩، والروض الأنف ١/ ١٨٢ - ١٨٣.

أحمد، واسمي في القرآن محمَّد؛ لأنِّي محمود في أهل السماء والأرض»[١]. وفي الصحيح: «لِي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بيَ الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قَدَمي، وأنا العاقب». وقد تقدَّم[٢].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قيل: عيسى[٣]. وقيل: محمَّد صلى الله عليهما وسلم[٤].

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ الكسائي وحمزة: «ساحر»[٥] نعتاً للرجل. وروي أنَّها قراءة ابن مسعود. الباقون: «سحر» نعتاً لما جاء به الرسول.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ تقدَّم في غير موضع[٦]. ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ هذا تعجُّب ممن كفر بعيسى ومحمَّد بعد المعجزات التي ظهرت لهما.

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف: «وَهُوَ يَدَّعِي» بفتح الياء والدال وشدِّها وكسر العين[٧]، أي: ينتسب. ويَدَّعِي وينتسب سواء. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من كان في حكمه أنَّه يُختَم له بالضلالة.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٥٢٩ ، وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ١٨٥ في ترجمة إسحاق بن بشر بنحوه وعزاه لابن عدي بإسناده عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه: إسحاق بن بشر، وهو كذَّاب متروك، وأورده أيضاً الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص٣٢٦ ، وقال: في إسناده وضَّاع.

(٢) البخاري (٤٨٩٦) ، ومسلم (٢٣٥٤)، وسلف ١٠/ ٤٥١ .

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٥٨ .

(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٦١٣ .

(٥) السبعة ص٢٤٩ ، والتيسير ص١٠١ .

(٦) ٨/ ٣٣٩و٤٥٧ .

(٧) القراءات الشاذة ص١٥٥ ، والمحتسب ٢/ ٣٢١ وما بعده منه، إلا أن القراءة وردت في مطبوع القراءات الشاذة هكذا: وهو يدعى إلا الإسلام. كما ينظر هامش القراءة المتعلِّق بها.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ الإطفاء: هو الإخماد، يستعملان في النار، ويستعملان فيما يَجري مجراها من الضياء والظهور[١]. ويَفترق الإطفاء والإخماد من وجه، وهو أنَّ الإطفاء يستعمل في القليل والكثير، والإخماد إنَّما يستعمل في الكثير دون القليل، فيقال: أطفأت السراج، ولا يقال: أخمدت السراج.

وفي «نُور اللهِ» هنا خمسة أقاويل: أحدها: أنَّه القرآن، يريدون إبطالَه وتكذيبه بالقول، قاله ابن عباس وابن زيد.

والثاني: أنَّه الإسلام، يريدون دفعه بالكلام، قاله السُّدِّيُّ.

الثالث: أنَّه محمَّد ﷺ، يريدون هلاكه بالأَراجيف، قاله الضحَّاك.

الرابع: حجج الله ودلائله، يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم، قاله ابن بحر.

الخامس: أنَّه مثَل مضروب، أي: من أراد اطفاءَ نور الشمس بِفِيْهِ، فوجده مستحيلاً ممتنعاً، فكذلك من أراد إبطال الحقِّ، حكاه ابن عيسى[٢].

وسبب نزول هذه الآية حكاه عطاء، عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف: يامعشرَ اليهود، أَبشِروا! فقد أَطفأ اللهُ نورَ محمَّد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتمَّ أمره. فحزن رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، واتَّصل الوحي بعدها، حكى جميعَه الماورديُّ[٣] رحمه الله.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ أي: بإظهاره في الآفاق. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «وَاللهُ مُتمُّ نُورِه»[٤] بالإضافة على نيَّة الانفصال، كقوله تعالى:

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٥٣٠ : والنور. والكلام ـ وما بعده ـ منه.

(٢) الأقوال الخمسة في النكت والعيون ٥/ ٥٣٠ ، وقول ابن زيد أخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٦١٤ .

(٣) في النكت والعيون ٥/ ٥٣٠ .

(٤) السبعة ص٦٣٥ ، والتيسير ص٢١٠ .

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وشبهه، حسب ما تقدَّم بيانه في «آل عمران»[١]. الباقون: «مُتِمُّ نُورَهُ» لأنَّه فيما يستقبل، فعمِل. ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من سائر الأصناف.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: محمَّداً بالحقِّ والرشاد. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بالحجج. ومن الظهور الغلبَةُ باليد في القتال، وليس المراد بالظهور ألَّا يبقى دين آخر من الأديان، بل المراد: يكون أهل الإسلام عالين غالبين. ومن الإظهار ألَّا يبقى دين سوى الإسلام في آخر الزمان. قال مجاهد: وذلك إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض دين إلَّا دين الإسلام[٢].

وقال أبو هريرة: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» بخروج عيسى[٣]. وحينئذ لا يبقى كافر إلا أسلم. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لينزلنَّ ابنُ مريم حَكَماً عادلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصليبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الخنزيرَ، ولَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ القِلاص، فلا يُسْعَى عليها، ولَتَذْهَبَنَّ الشَّحْناءُ والتَّباغُضُ والتَّحاسدُ، ولَيَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يَقْبَلُهُ أحَدٌ»[٤]. وقيل: «لِيُظْهِرَهُ» أي: ليطلع محمَّداً ﷺ على سائر الأديان، حتى يكون عالماً بها، عارفاً بوجوه بطلانها، وبما حَرَّفوا وغَيَّروا منها. ﴿عَلَى ٱلدِّينِ﴾ أي: الأديان؛ لأنَّ الدين مصدر يعبَّر به عن جمع.

---

(١) ٥/ ٤٤٧.

(٢) الكشاف ٤/ ٩٩.

(٣) أخرجه الطبري ١١/ ٤٢٣ و٢٢/ ٦١٥.

(٤) مسلم (١٥٥): (٢٤٣)، وهو عند أحمد (١٠٤٠٤)، والقلاص: جمع قلوص، وهي الناقة الشابة. النهاية (قلص).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ قال مقاتل: نزلت في عثمان بن مظعون، وذلك أنَّه قال لرسول الله ﷺ: لو أَذِنْتَ لي فطلَّقتُ خَوْلة، وتَرَهَّبْتُ واخْتَصَيْتُ وحَرَّمْتُ اللَّحم، ولا أنام بليل أبداً، ولا أُفطر بنهار أبداً! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن سُنَّتي النكاح، ولا رَهبَانيَّةَ في الإسلام، إنَّما رهبانية أمَّتي الجهادُ في سبيل الله، وخِصاءُ أُمَّتي الصومُ، ولا تُحَرِّموا طيباتِ ما أحلَّ اللهُ لكم. ومِنْ سُنَّتي أنام وأقوم، وأُفطر وأصوم، فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي». فقال عثمان: واللهِ لوَدِدْتُ يا نبيَّ الله أيّ التجاراتِ أحبُّ إلى الله فأتَّجر فيها، فنزلت[1].

وقيل: «أَدُلُّكُمْ» أي: سأدلكم. والتجارة: الجهاد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١].

وهذا خطاب لجميع المؤمنين. وقيل: لأهل الكتاب.

---

(١) لم نقف عليه هكذا، بل ورد معناه في عدة أحاديث، منها: ما أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، وأحمد (١٥٨٨) عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد ردَّ ذلك ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ على عثمان بن مظعون التبتُّلَ، ولو أَذِنَ له لاختصينا. ومنها: ما أخرجه أحمد (١٣٨٠٧)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٠٤) عن أنس، عن النبي ﷺ قال: لكل نبيٍّ رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله. ومنها: ما أخرجه البخاري (٥٠٧٥)، ومسلم (١٤٠٤) عن عبد الله قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخَّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. ومنها ما أخرجه البخاري (٥٠٦٣) عن أنس في الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها... فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. وهو عند مسلم (١٤٠١) بنحوه.

الثانية: قوله: ﴿تُنجِيكُم﴾ أي: تخلصكم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: مؤلم. وقد تقدَّم[١].

وقراءة العامة: «تُنْجِيكُمْ» بإسكان النون من الإنجاء. وقرأ الحسن وابن عامر وأبو حيوة: «تُنَجِّيكُمْ» مشدَّداً[٢]، من التَّنجية. ثم بيَّن التجارة وهي المسألة:

الثالثة: فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ ذكر الأموال أوّلاً؛ لأنَّها التي يبدأ بها في الإنفاق. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: هذا الفعل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أموالكم وأنفسكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. و«تُؤْمِنُونَ» عند المبرِّد والزجَّاج[٣] في معنى: آمنوا، ولذلك جاء «يَغْفِرْ لَكُمْ» مجزوماً على أنَّه جواب الأمر. وفي قراءة عبد الله «آمنوا بالله»، وقال الفرَّاء: «يَغْفِرْ لَكُمْ» جواب الاستفهام، وهذا إنَّما يصحُّ على الحمل على المعنى، وذلك أن يكون «تُؤْمِنُونَ بِالله وتُجَاهِدُونَ» عطف بيان على قوله: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجَارةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» كأنَّ التجارة لم يُدْرَ ماهي، فبُيِّنت بالإيمان والجهاد، فهي هما في المعنى. فكأنَّه قال: هل تؤمنون بالله وتجاهدون، يغفر لكم. الزَّمَخْشرِيُّ[٤]: وجه قول الفرَّاء أنَّ متعلَّق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسَّرة بالإيمان والجهاد. كأنَّه قيل: هل تتَّجرون بالإيمان والجهاد، يغفر لكم. قال المهدويُّ: فإن لم تقدِّر هذا التقدير، لم تصحَّ المسألة؛ لأنَّ التقدير يصير: إن دُللتم، يغفر لكم، والغفران إنَّما نُعت بالقبول والإيمان، لابالدلالة. قال الزجّاج[٥]: ليس إذا دلَّهم على ما ينفعهم، يغفر لهم، إنَّما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا. وقرأ زيد بن عليٍّ: «تؤمنوا»، «وتجاهدوا» على إضمار لام الأمر، كقوله:

---

(١) ١/ ٣٠١.

(٢) السبعة ص٦٣٥، والتيسير ص٢١٠.

(٣) في معاني القرآن له ٥/ ١٦٦، وقراءة ابن مسعود فيه، وفي معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٤، وما بعده منه أيضاً.

(٤) الكشاف ٤/ ١٠٠.

(٥) في معاني القرآن له ٥/ ١٦٦.

مـحـمَّـدُ تَـفْـدِ نـفـسَـكَ كـلُّ نـفـسٍ إذا مـا خِـفْـتَ مـن شـيء تَـبَـالا[١]

أراد: لِتَفْدِ. وأدغم بعضهم فقال: «يغفر لكم»[٢] والأحسن ترك الإدغام؛ لأنَّ الراء حرف متكرِّر قويٌّ، فلا يحسن إدغامه في اللام؛ لأنَّ الأقوى لا يُدغَم في الأضعف.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ خرَّج أبو الحسين[٣] الآجُرِّي عن الحسن قال: سألتُ عمرانَ بنَ الحُصَين وأبا هريرة عن تفسير هذه الآية: «وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً» فقالا: على الخبير سقطتَ، سَأَلْنا رسولَ الله ﷺ عنها فقال: «قَصْرٌ من لؤلؤة في الجنَّة، فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كلِّ دار سبعون بيتاً من زَبَرْجَدة خضراء، في كلِّ بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً من كلِّ لَوْن، على كلِّ فراش سبعون امرأةً من الحُور العين، في كلِّ بيت سبعون مائدة، على كلِّ مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كلِّ بيت سبعون وَصيفاً ووصيفة، فيُعطي الله تبارك وتعالى المؤمنَ من القُوَّة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كلِّه».

﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي: السعادة الدائمة الكبيرة. وأصل الفوز الظَّفَر بالمطلوب.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٠٠ ، والقراءة في البحر المحيط ٨/ ٢٦٣ ، والبيت سلف ٤/ ٤٣٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٦٧ ونسبها لأبي عمرو بن العلاء، وما بعده منه أيضاً.

(٣) كذا في النسخ، ولعلّه: محمد بن الحسين الآجري في كتابه «النصيحة»، كما عزاه إليه السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/ ٣٧٦ ، والحديث أخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد (١٥٧٧)، والبزار في البحر الزخار (٣٥٦٣)، والطبري ١١/ ٥٥٨-٥٥٩ ، وابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ١٨٣٩ (١٠٣٠٢)، والطبراني في الكبير ١٨/ ١٦٠ (٣٥٣) من طرق، عن الحسن، به.

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٧٠٤) وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفي إسناده: جسر بن فرقد، قال يحيى: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه. وقال أبو حاتم بن حبان: خرج عن حدِّ العدالة. اهـ. وأورده أيضاً ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة ٢/ ٣٨٢-٣٨٣ . اهـ . وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠/ ٢٨٦ : وهذا الحديث غريب، بل الأشبه أنه موضوع، وإذا كان الخبر ضعيفاً لم يمكن اتصاله، فإن جسراً هذا ضعيف جداً.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ قال الأخفش والفرَّاء: «أُخْرَى» معطوفة على «تِجَارَةٍ» فهي في محلِّ خفض[١]. وقيل: محلُّها رفع، أي: ولكم خصلة أخرى وتجارة تحبونها ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: هو نصر من الله، فـ «نصر» على هذا تفسير «وأخْرَى»[٢]. وقيل: رفع على البدل من «أُخْرَى» أي: ولكم نصر من الله[٣]. ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: غنيمة في عاجل الدنيا[٤]، وقيل: فتح مكة. وقال ابن عباس: يريد فتح فارس والروم[٥]. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ برضا الله عنهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

أكَّد أمر الجهاد، أي: كونوا حواريَّ نبيِّكم؛ ليظهركم الله على من خالفكم، كما أظهر حواريَّ عيسى على مَن خالفهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: «أنصاراً لِلهِ» بالتنوين[٦]. قالوا: لأنَّ معناه: اثبتوا وكونوا أعواناً لِلهِ بالسيف على أعدائه[٧]. وقرأ الباقون من أهل البصرة والكوفة والشام: «أنصار الله» بلا تنوين، وحذفوا لامَ الإضافة من اسم الله تعالى. واختاره أبو عُبيد لقوله: «نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ» ولم ينوَّن، ومعناه: كونوا أنصاراً لدين الله[٨]. ثم قيل: في الكلام إضمار، أي: قل لهم يا محمَّد: كونوا أنصار الله. وقيل: هو ابتداء

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٠٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٦٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤.

(٥) الوسيط ٤/ ٢٩٣، ونسب القول الأول للكلبي، والثاني لعطاء.

(٦) السبعة ص٦٣٥، والتيسير ص٢١٠.

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٥٩.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٣.

خطاب من الله، أي: كونوا أنصاراً، كما فعل أصحاب عيسى فكانوا بحمد الله أنصاراً، وكانوا حواريِّين.

والحوَارِيُّون: خواصُّ الرسل. قال مَعْمَر: كان ذلك بحمد الله، أي: نصروه وهم سبعون رجلاً، وهم الذين بايعوه ليلةَ العَقَبَة[١]. وقيل: هم من قريش، وسمَّاهم قتادة: أبا بكر، وعمر، [وعثمان]، وعليّاً، وطلحة، والزبير، وسعد بن مالك، وأبا عبيدة - واسمه عامر - وعثمان بن مَظْعُون، وحمزة بن عبد المطلب، ولم يذكر سعيداً فيهم، وذكر جعفر بن أبي طالب ﷺ أجمعين[٢]. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ وهم أصفياؤه اثنا عشر رجلاً، وقد مضت أسماؤهم في «آل عمران»[٣]، وهم أوَّل من آمن به من بني إسرائيل، قاله ابن عباس[٤]. وقال مقاتل: قال الله لعيسى: إذا دخلتَ القريةَ فَأْتِ النهر الذي عليه القَصَّارون، فاسألهم النُّصرة، فأتاهم عيسى وقال: مَن أنصاري إلى الله؟ قالوا: نحن ننصرك. فصدَّقوه ونصروه. ومعنى «مَنْ أَنْصَارِي إلى اللهِ» أي: مَن أنصاري مع الله، كما تقول: الذَّوْد إلى الذَّوْد إبل، أي: مع الذَّوْد. وقيل: أي: مَن أنصاري فيما يقرِّب إلى الله. وقد مضى هذا في «آل عمران»[٥]. ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ والطائفتان في زمن عيسى افترقوا بعد رفعه إلى السماء، على ما تقدَّم في «آل عمران»[٦] بيانه. ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الذين كفروا بعيسى. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ أي: غالبين[٧]. قال ابن عباس: أيَّد الله الذين آمنوا في

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٩٠، والطبري ٢٢/ ٦٢٠-٦٢١، وابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٢٩ بهامش الإصابة) عن معمر، عن قتادة.

(٢) التعريف والإعلام ص١٧٠، وما بين حاصرتين منه، والخبر أخرجه عن قتادة عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٩٠، والطبري ٢٢/ ٦٢١، والثعلبي في عرائس المجالس ص٣٩٤، إلا أنهم زادوا: عبد الرحمن ابن عوف.

(٣) ٥/ ١٤٩ ولم يذكر هناك أسماءهم، بل ذكر سبب تسميتهم.

(٤) الكشاف ٤/ ١٠١ دون عزو.

(٥) ٥/ ١٤٨، والذَّوْدُ من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر، والمعنى: إذا جمعتَ القليل مع القليل، صار كثيراً. الصحاح (ذود).

(٦) ٥/ ١٥٤.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٦٤.

زمن عيسى بإظهار محمَّد على دين الكفار[١]. وقال مجاهد: أُيِّدوا في زمانهم على مَن كفر بعيسى. وقيل: أَيَّدنا الآن المسلمين على الفرقتين الضالَّتين، من قال: كان الله فارتفع، ومن قال: كان ابْنَ الله فرفعه الله إليه؛ لأنَّ عيسى ابن مريم لم يقاتل أحداً، ولم يكن في دين أصحابه بعده قتال. وقال زيد بن عليٍّ وقتادة: «فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ»: غالبين بالحجَّة والبرهان؛ لأنَّهم قالوا فيما روي: ألستم تعلمونَ أنَّ عيسى كان ينام، واللهُ لا ينام، وأنَّ عيسى كان يأكل، واللهُ تعالى لا يأكل!. وقيل: نزلت هذه الآية في رسل عيسى عليه الصلاة والسلام.

قال ابنُ اسحاق[٢]: وكان الذي بعثهم عيسى من الحواريِّين والأتباع فطرس[٣] وبولس إلى رُومِية، وأندراييس[٤] ومشى[٥] إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس. وتوماس[٦] إلى أرض بابل من أرض المشرق. وفيلبس[٧] إلى قُرْطَاجَنَّة، وهي أفريقية. ويحنس[٨] إلى دفسوس[٩] قرية أهل الكهف. ويعقوبس إلى أورِيشَلم وهي بيت المقدس. وابن تلما إلى العرابية[١٠] وهي أرض الحجاز. وسِيمن إلى أرض البربر.

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٣٩ بنحوه.

(٢) أخرجه عنه الطبري في تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٦٠٣ ، وقد اختلفت النسخ الخطية في رسم هذه الأسماء، فأثبتناه من التاريخ كما هو، ثم أشرنا إلى اختلاف النسخ الخطية، ووردت أسماءهم أيضاً عند الثعلبي في عرائس المجالس ص٣٩٤ ، والماوردي في المحبر ص٤٦٤ بنحو ما ذكر هنا، وينظر لزاماً: الإعلام بأصول الأعلام للدكتور عبد الرحيم، وقاموس الكتاب المقدس.

(٣) في (ف) و(د) و(خ): قطرس، وفي (ظ): يطرس.

(٤) في (خ): اندراريس.

(٥) في (ف): متا، وفي (خ): ومتنا.

(٦) في (ف) و(خ): بوناس، وفي (د): اتوناس.

(٧) في (ف) : قليس، وفي (خ): قَيْلِيْس.

(٨) ضبطها في (خ) هكذا: يُحَنْس.

(٩) في (ف) و(د) و(خ) : أقسوس. وفي (ظ): أفسوس.

(١٠) في النسخ الخطية: الأعرابية.

ويهوذا وبردس[١] إلى الإسكندرية وما حولها. فأيَّدهم الله بالحجَّة ﴿فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾ أي: عالين، من قولك: ظهرتُ على الحائط، أي: عَلَوْت عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

سورة الجُمُعة

مدنيّةٌ في قول الجميع، وهي إحدى عشرة آية[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «خير يومٍ طَلَعَتْ عليه الشمس يومُ الجمعة؛ فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدخِل الجنَّة، وفيه أُخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[٣]. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخِرون [الأوّلون] يوم القيامة، ونحن أوَّل من يدخل الجنَّة، بيدَ أنَّهم أوتوا الكتاب مِن قَبْلِنا، وأوتِيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحقِّ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له ـ قال: يوم الجمعة ـ فاليوم لنا، وغدًا لليهود، وبعد غدٍ للنصارى»[٤].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

تقدَّم الكلام فيه. وقرأ أبو العالية ونصر بن عاصم: «الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ

(١) في (ف) و(خ) و(ظ): وبودس.
(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٣٩.
(٣) مسلم (٨٥٤): (١٨) وهو عند أحمد (٩٤٠٩).
(٤) أخرجه مسلم (٨٥٥): (٢٠)، وما بين حاصرتين منه، والبخاري (٨٧٦)، وأحمد (٧٣١٠).